القسم الثاني: المجازُ العقلي (الإسنادي أو الحكمي):

لعلماء العربية المتقدمين فضلُ السَّبق في بيان مصطلح المجاز العقلي؛ فالأمثلة المبثوثة في مصنَّفاتهم تشيرُ إلى وجود كثيرٍ من الإشارات المجازيَّة التي كان مقياسها عندهم قول القائل: (**نَهَارُهُ صَائِمٌ، ولَيلُهُ قَائِمٌ**)، حملاً له على جهة الاتساع في اللغة مع الاختصار والاستخفاف في اللفظ، وذلك بإضافتهم الفعل إلى الليل والنَّهار، وهو في المعنى للآدميينَ، كما تقول: (**نَامَ ليلُكَ، وعزَمَ الأمرُ**)، وإنَّما عَزَمَهُ القومُ، فهذا ممَّا يُعرَفُ معناهُ فتتَّسع به العرب، وحَدُّه: (**هو إسنادُ الفعل-أو ما في معناه-، إلى غير ما هو لهُ، لعلاقةٍ من العلاقات الستة، مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادة الإسناد الحقيقي، وهذا الإسناد المجازي قد يكون إلى: سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره، أو بإسناد المبنيِّ للفاعل إلى المفعول، أو بإسناد المبنيِّ للمفعول إلى الفاعل**).

علاقاتُ المجاز العقليّ:

١-المَفعُوليَّة: (ما بُنِيَ للفاعل وأُسند إلى المفعول)

إنَّ أشهر مثال اتكأ عليه علماءُ البلاغة في إيضاح هذه العلاقة والقياس عليها ما ورد في قوله-تعالى-: ﴿ **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ** ﴾ [الحاقة:٢١، والقارعة:٧]، وفي قوله-تعالى-: ﴿ **خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ** ﴾ [الطارق:٦]، فهنا صار المفعولُ فاعلاً في كِلتا الآيتينِ الكريمتينِ؛ لأنَّ(**رَاضِيَةٍ**) بمعنى: **مرضيَّة**، و(**دَافِقٍ**) بمعنى: **مدفوق**، فقد أُسند إلى العيشة ما هو لصاحبها، وأُسند الدفق إلى الماء بدلاً من إسناده إلى صاحبيه[1]، وأهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثيرٍ من كلامهم، كقولهم: (**سِرٌّ كاتِمٌ**)، أي: مكتومٌ، و(**هَمٌّ ناصِبٌ**)، أي: منصُوبٌ، و(**ليلٌ نائمٌ**)... ونحو ذلك، وهذا من مجاز الإسناد، إذ أُسند إلى الماء ما لصاحبيه؛ مُبالغةً.

---

[1] قُلتُ: (**صَاحِبَيه**)؛ بناءً على أنَّه-سُبحَانَهُ- أراد ماءَ الرجل والمرأة معاً، لأنَّ الإنسانَ مخلوقٌ منهما، لكن جَعلهما ماءً واحداً لامتزاجهما، من باب إطلاق لفظ المفرد على المثنى، بدلالة إخراج الولد من صُلب الرجل وترائب المرأة. والله-تعالى- أعلم.

٢- الفاعلية: (ما بُنِيَ للمفعول وأُسند إلى الفاعل الحقيقي)

من ذلك قوله-تعالى-: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾[الإسراء:٤٥]، فمعنى: (مَسْتُورًا): ساتراً، أي: حجاباً ساتراً؛ لأنَّ الحجاب لا يكون إلا ساتراً، والمستور حقيقةً هو الإنسان المخاطَب وهو هنا (النبي-ﷺ-)، وإسناد المبني للمفعول: (**مَسْتُوراً**) إلى الفاعل(**ساتراً**)، من علاقة الفاعلية.

ومن أمثلة علاقة الفاعلية أيضاً، ما ظهر في قوله-تعالى-: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾[مريم:٦١]، فلا يخفى أنَّ معنى(**مَأْتِيًّا**) هنا: آتياً، جرياً على سنن العرب في خطاباتهم؛ لأنَّ الوعد عندهم آتٍ ومأتيٌّ، فهو مبنيٌّ للمفعول مُسندٌ للفاعل، على مذهب أهل الصَّنعة والبَيَان.

٣- الزَّمَانِيَّةُ: (ما بُنِيَ للفاعل وأُسند إلى الزَّمانِ)

تتمركز أمثلةُ هذه العلاقة حول قول العرب: (**نهارُهُ صائمٌ، وليلُهُ قائمٌ**)أيضاً، من باب المجاز العقلي بإسناد ما للشَّيءِ للزَّمان كما يُسندُ للمكانِ، من ذلك قوله-تعالى-: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ**﴾ [إبراهيم:١٨]، فالعصفُ شدَّةُ الرِّيح، وُصِفَ به زمانُها مبالغةً، كما يقال: (**يومٌ حارٌّ، ويومٌ باردٌ**)، والبردُ والحرُّ فيها لا منها، وهذا الإسناد العقلي المتمثل في علاقة الزَّمانية لا شكَّ بأنَّه أبلغ وأفخم من أن يُقال: (يومٌ عاصفُ الرِّيح)؛ لما فيه من جزالة اللفظ واختصاره، فيقال: قد عَصَفَ يومُنا، وذاك كائنٌ في لغة العرب إذا اشتدت الريحُ فيه[(١)]، كقول جرير[(٢)]:

لَقد لُمتِنَا يا أُمَّ غَيلانَ في السُّرى ... ونمتِ وما ليلُ المَطِيِّ بنائمِ

ويقال: (**يومٌ ماطِرٌ، وليلةٌ ماطِرةٌ**)، وإنَّما المطرُ فيه وفيها، مُبالغةً في الوصف.

---

(١) يُنظر: فِقْه اللغَة وَسِرُّ العَرَبِيَّةِ:٣٢٧.
(٢) ديوان جرير:٢/٩٩٣.

ومن شواهد الزمانية إسنادُ الإبصار إلى النَّهار في قوله-تعالى-: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾ [الإسراء:١٢]، وقوله-تعالى-: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[النمل:٨٦]، ونحو ذلك، فوصفُ النهارِ بالإبصار وهو وصفٌ للنَّاس، مبالغة في إضاءته، كأنَّه يبصر ما فيه، ففي الكلام إسنادٌ عقلي من إسناد الحديث إلى زمانه؛ لأنَّ النَّهار لا يُبصر بل يُبصرُ فيه، كقولهم: (**أبصرَ النهارُ**)، إذا صار بحالةٍ يُبصَرُ بها، والعرب وضعوا أشياء من كلامهم في موضع الفاعل، والمعنى أنَّه مفعولٌ؛ لأنَّه ظرفٌ يفعلُ فيه غيرُه؛ لأنَّ النَّهار لا يُبصرُ ولكنَّه يُبصر فيه الذي ينظر.

٤- المكَانِيَّةُ: (ما بُنِيَ للفاعل وأُسند إلى المكان)

كثُرت أمثلةُ ما بُنِيَ للفاعل وأُسند إلى المكان توسُّعاً، ومعظمها كان لأجل المبالغة في بيان المراد، من ذلك إسناد جريان الماء إلى الأنهار في قوله-تعالى-: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾[البقرة:٢٥]، ونحو ذلك، فالأنهار جمعُ نهرٍ، وهو المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات، والمراد الماء الذي يجري فيها؛ لأنَّ الأنهار لا تجري، وأُسند إليها توسُّعاً، فالجاري حقيقةً هو الماء، وفي هذا الإسناد من الحسن والجزالة ما اللهُ به عليم؛ إذ لو قيل: تجري من تحتها مياهُ الأنهار لذهب رَونَقُ الإعجاز، وذابت بلاغةُ الفصاحة والإيجاز، لأنّه معلومٌ أنّه إنَّما أراد-جلَّ ثناؤه- الخبرَ عن ماء أنهارها أنَّه جارٍ تحت أشجارها وغُروسها وثمارها، لا أنَّه جارٍ تحت أرضها؛ لأنَّ الماء إذا كان جارياً تحت الأرض فلا حظَّ فيها لعيون مَنْ فَوقها إلَّا بكشف السَّاتر بينها وبينه، على أنّ الذي تُوصف به أنهارُ الجنَّة، أنَّها جاريةٌ في غير أخاديد[1].

ومن شواهد علاقة المكانية ما جاء في إسناد الأمن للبلد أو القرية دون أهلها مثل قوله-تعالى-: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾[البقرة:١٢٦]، فالأمن لأصحاب البلد لا للبلد نفسه، والمراد الدُّعاء لأهله من ذريَّته وغيرهم، كقوله:﴿**عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**﴾، أي: راضٍ صاحبُها، والإسناد إلى المكان مجازٌ، كما في: (**ليلٌ نائمٌ**)، أي: نائمٌ فيه، وعلى هذا المراد أمِنَ المُلتَجِئُ إليه، فأُسند إليه مبالغةً، ويُؤكِّدُ المراد بهذا الإسناد أنَّه-تعالى- قال: ﴿**وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾، ولم يقل-سبحانه-: وارزُقْهُ، أي: البلد؛ لأجل إيضاح المراد، فاتضح وبان للعيان، فإنَّه تأمَنُ فيه حتى الظباء من الذئاب، والحمام من الحدأة، فهو إذاً من باب المجاز العقلي الذي علاقته المكانية، فوصف البيت بالأمن على سبيل المبالغة لكثرة ما يقع به من الأمن، فكان التَّقدير: آمناً مَن فيه.

---

[1] يُنظر: تفسير الطَّبَرِيّ:١٩٥/١، وتفسير أبي السُّعُود:٩٤/١.

ومن شواهد علاقة المكانية المشهورة قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾[يونس:٩٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾[النحل:١١٢]، وفي قوله تعالى: ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأنبياء:٦]، وقوله سبحانه: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾[الأنبياء:١١]، وقوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾[الأنبياء:٧٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾[محمد:١٣].

٥- المصدريّةُ: (ما بُنِيَ للفاعل وأُسند إلى المصدر)

اشتهرت علاقة المصدرية بمقولة: (**جَدَّ جَدُّهُ، ودَاهِيةٌ دَهْيَاء**)[1] وما شابه ذلك، بالإسناد إلى المصدر بدلاً من الإسناد إلى الفاعل الحقيقي لأجل المبالغة في الوصف، وأقرب مثال على ذلك في قوله-تعالى- على لسان بعض مؤمني الجنِّ-: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾[الجن:٣]، فالجدُّ مصدرٌ وقد أُسند الفعل إليه، وكان الأصل أن يُسند إلى الرَّب-جلَّ جلالُه- لأنَّه هو المتعالي والمستحق للفعل حقيقة، والمعنى وَصْفُهُ بالتعالي عن الصَّاحبة والولد؛ لعظمته أو لسلطانه وملكوته أو لغناه، وقوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾، بيانٌ لذلك.

وهناك من الأمثلة ما يعضد هذا المثال ويُقاسُ عليه، من ذلك قوله-تعالى-: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[فُصِّلت:٣٦]، فالنَّزغُ: شبيه النَّخس، شبَّه به الوسوسة لأنَّها تبعث على الشَّر، وجعلُ النَّزغ نازغاً على سبيل المجاز العقلي، كقولهم: (**جدَّ جدُّه**)، وأُريد: إمَّا ينزغنَّك نازغٌ، وصفاً للشيطان بالمصدر، أو لتسويله، والمعنى: وإن صرفك الشيطان عن شيء ممَّا شرعه الله لك أو عن الدَّفع بالَّتي هي أحسن، فاستعذ بالله من شره وامض على حلمك ولا تطعه.

---

[1] لعل المقولة الأُلى مأخوذة من قول أبي فراس الحمداني: (**سَيَذكرني قومي، إذا جَدَّ جَدُّهُمْ .... وفي الليلة الظلماء، يُفتقَدُ البَدْرُ**). ديوانه:١٦٥. والمقولة الثانية مأخوذة من قول الراجز: (**قَدْ لَقِيَ الأقرانُ منكَ نُكْرا ..... دَاهِيَةً دَهْيَاءَ إدّاً إمْرا**). ينظر: غريب القرآن للسجستاني:١٠٨.